بهم العجب الى حمق صاروا به نكالا في الاولين ومثلا في الاخرين ولو تصور
المعجب والمتكبر ما جبل عليه وفطر من جبلة وبلي به من مهنة لخفض جناح
نفسه واستبدل لينا من عتوه وسكونا من نفوره وقال الاحنف بن قيس
عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر وقد وصف بعض الشعرا
الانسان فقال

يا مظهر الكبر اعجابا بصورته ... انظر خلاك فان النتن تثريب
لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن ادم مثل الراس مكرمة ... وهو بخمس من الاقذار مضروب
انف يسيل واذن ريحها سهك ... والعين مرمصة والثغر ملعوب
يا ابن التراب وماكول التراب غدا ... اقصر فانك ماكول ومشروب

واحق من كان للتكبر مجانبا وللاعجاب مباينا من جل في دنياه قدره
وعظم فيها خطره لانه قد يستقل بعالي همته كل كثير ويستصغر معها كل
كبير وقد قال محمد بن علي لا ينبغي للشريف ان يرى لشيء من الدنيا لنفسه
خطرا فيكون بها تائها وقال ابن السماك لعيسى بن موسى تواضعك في شرفك
اشرف لك من شرفك وكان يقال اسمان متضادان لمعنى واحد التواضع
والشرف وللكبر اسباب فمن اقوى اسبابه علو اليد ونفوذ الامر وقلة
الاكفا حكي ان قوما مشوا خلف علي رضي الله تعالى عنه فقال ابعدوا
عني خفق نعالكم فانها مفسدة لقلوب نوكى الرجال ومشوا خلف ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه فقال ارجعوا فانها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وروي
قيس بن ابي حازم ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاصابته رعدة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هون عليك فانما انا ابن امراة كانت تاكل
القديد وانما قال ذلك حسما لمواد الكبر وقطعا لذرائع الاعجاب
وكسرا لاشر النفس وتذليلا لسطوة الاستعلاء ومثل ذلك ما روي
عن عمر رضي الله تعالى عنه انه نادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد
المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم

ثم قال ايها الناس



غنم
ارعى

ثم قال ايها الناس لقد رايتني على خالات لي من بني مخزوم فيقبض لي
القبضة من التمر والزبيب فاظل اليوم واي يوم فقال له عبد الرحمن
بن عوف رضي الله تعالى عنه والله يا امير المومنين ما زدت على ان قصرت
بنفسك فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ويحك يا ابن عوف اني خلوت فحدثتني
نفسي فقالت انت امير المومنين فمن ذا افضل منك فاردت
ان اعرفها نفسها وللاعجاب اسباب فمن اقوى اسبابه كثرة مديح المتقربين
واطرا المتملقين الذين قد جعلوا النفاق مادة وكسبا والتملق خديعة
ولعبا فاذا وجدوه مقبولا في العقول الضعيفة اغروا اربابها باعتقاد
كذبهم وجعلوا ذلك ذريعة الى الاستهزا بهم وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه سمع رجلا يزكي رجلا فقال له قطعت مطاه لو سمعها
ما افلح بعدها وقال عمر رضي الله تعالى عنه المدح ذبح وقال ابن المقفع
قابل المدح كمادح نفسه وقال بعض الحكما من رضي ان يمدح بما ليس فيه
فقد امكن الساخر منه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اياكم والتمادح فانه الذبح ان كان احدكم مادحا اخاه فليقل احسبه
ولا ازكي على الله احدا وقيل في ما انزل الله تعالى من الكتب السالفة
عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح وعجبت لمن قيل فيه الشر
وهو فيه كيف يغضب قال بعض الشعرا

يا جاهلا غره افراط مادحه ... لا يغلبن جهل من اطراك علمك بك
اثنى وقال بلا علم احاط به ... وانت اعلم بالمحصول من ريبك

وهذا امر ينبغي للعاقل ان يضبط نفسه عن ان تستفزها ويمنعها من
تصديق المدح لها فان للنفس ميلا الى حب الثنا وسماع المدح وقد قال
الشاعر

يهوى الثنا مبرز ومقصر ... حب الثنا طبيعة الانسان

فاذا سامح نفسه في هذه الصبوة وتابعها على هذه الشهوة تشاغل بها عن
الفضايل الممدوحة ولهي بها عن المحاسن الممنوحة وصار الظاهر من مدحه

Copyright © King Saud University